

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة السابعة والسبعون

أحمد بن حنبل (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : -

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع طرف من حياة فتى من فتيان الإسلام ، الذي ساد في العلم صغيراً ، فبرع وأفقى ولم يتجاوز سن الشباب .

إنه الامام حقا وشيخ الاسلام صدقا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن اسد ... الشيباني احد الائمة الاعلام .

ولد الإمام أحمد في شهر ربيع الآخر، وقيل : في شهر ربيع الاول سنة اربع وستين ومئة .

وكان محمد والد الإمام أحمد من اجناد مرو مات شابا له نحو من ثلاثين سنة وربى أحمد يتيما وقيل ان امه تحولت من مرو وهي حامل به .

وكانت أمه شديدة الحرص عليه تولت رعايته وطلبه للعلم، فكنّت مثالا للأمهات في تنشئة الرجال والعلماء ، فقد حكى عنها أنها موقفاً من مواقف حرصها عليه ، فيقول: كنت ربما أردت البكور في الحديث، أي أنه يريد الخروج إلى طلب الحديث والسماع من المحدثين قبل طلوع الفجر ، ويقول فتأخذ أُمِّي بشيبي ، وتقول : حتى يؤذن الناس أو يصحوا .

وهذا الموقف يدلنا من طرف آخر على شدة حرص أحمد بن حنبل في صغره على طلبه للعلم ، والتبكير إليه ، ومسك أمه بشيابه يدل على المغالبة فكأنه يريد ان يغلبها على نفسه فيخرج قبل طلوع الفجر لسماع الحديث ، ولكن امه تخشى عليه الخروج في هذا الوقت من الليل .

عجباً لك يا ابن حنبل ، وما أروع هذا الموقف من حياتك في شبابك ، فأين أنت من شباب هذا الزمان ، فلعلهم يستيقظوا لصلاة الفجر ، لا نقول للتبكير لطلب العلم ، وربما كانت المغالبة بينهم وبين أهليهم على عكس المغالبة بين الإمام أحمد وأمه .

وكان الإمام أحمد في بداية شبابه يجالس كبار العلماء ، قال حنبل سمعت أبا عبد الله يقول طلبت الحديث سنة تسع وسبعين ، وكان عمره حين ذاك خمس عشرة سنة ، فسمع من عدد كثير من الشيوخ ، فعدة شيوخه الذين روى عنهم في المسند مئتان وثمانون ونيف .

ولم يكن الإمام أحمد في فترة شبابه يقبع في مكان واحد، بل كان ينتقل من مكان إلى مكان يتتبع العلماء ، فيسمع منهم الحديث ، وفي ذلك يقول عن نفسه : مات هُشَيْم فخرجت إلى الكوفة سنة ثلاث وثمانين واول رحلاتي إلى البصرة سنة ست وخرجت إلى سفیان سنة سبع – فكانت كل هذه التنقلات ولم يجاوز الثالثة والعشرين من العمر – ويقول : فقدما وقد مات الفضيل بن عياض وحججت خمس حجج منها ثلاث راجلا انفقت في احداها ثلاثين درهما وقدم ابن المبارك في سنة تسع وسبعين وفيها اول سماعي من هشيم فذهبت إلى مجلس ابن المبارك فقالوا قد خرج إلى طرسوس وكتبت عن هشيم اكثر من ثلاثة آلاف ولو كان عندي خمسون درهما لخرجت إلى جرير إلى الري .

وروى صالح بن أحمد عن ابيه قال مات هشيم وأنا ابن عشرين سنة وأنا احفظ ما سمعت منه . وهذا مما يدل على قوة حفظه في فترة شبابه، فلم يكن همه منصرفاً إلى الدنيا أو إلى هموم الشباب العاطلين ، بل كان همه في شبابه طلب الحديث وحفظه ، حتى بلغ منه مبلغاً .

ومن حديث الإمام أحمد عن نفسه (رحمه الله) في طلب العلم في شبابه قوله : سمعت

من علي بن هاشم سنة تسع وسبعين فأتيته المجلس الآخر وقد مات وهي السنة التي مات فيها مالك وأقمت بمكة سنة سبع وتسعين واقمت عند عبد الرزاق سنة تسع وتسعين ، كل ذلك وهو في سن الشباب (رحمه الله) . بل قد بدأ بطلب العلم قبل سن الشباب ، وفي هذا يقول المروزي قال لي أبو عبد الله اختلفت إلى الكتاب ثم اختلفت إلى الديوان وأنا ابن أربع عشرة سنة .

ومن أخباره في طلبه ورحلته ، يقول المروزي سمعت أبا عبد الله يقول مات هشيم ولي عشرون سنة فخرجت أنا والاعرابي رفيق كان لأبي عبد الله قال فخرجنا مشاة فوصلنا الكوفة يعني في سنة ثلاث وثمانين فأتينا أبا معاوية وعنده الخلق فاعطى الاعرابي حجة بستين درهما فخرج وتركني في بيت وحدي فاستوحشت وليس معي الا جراب فيه كتي كنت اضعه فوق لبنة واضع رأسي عليه وكنت اذا كر وكيعا بحديث الثوري وذكر مرة شيئا فقال هذا عند هشيم فقلت لا وكان ربما ذكر العشر احاديث فأحفظها فإذا قام قالوا لي فامليها عليهم .

وعن عبد الله بن أحمد قال لي أبي خذ أي كتاب شئت من كتب وكيع من المصنف فإن شئت ان تسألني عن الكلام حتى اخبرك بالاسناد وإن شئت بالاسناد حتى اخبرك انا بالكلام .

وعن عبد الله بن أحمد أيضاً قال : سمعت سفیان بن وكيع يقول احفظ عن ابيك مسألة من نحو اربعين سنة سئل عن الطلاق قبل النكاح فقال يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي وابن عباس ونيف وعشرين من التابعين لم يروا به باسا فسألت أبي عن ذلك فقال صدق كذا قلت .

وعن أبي إسماعيل الترمذي يذكر عن ابن نمير قال كنت عند وكيع فجاءه رجل أو قال جماعة من اصحاب أبي حنيفة فقالوا له ها هنا رجل بغدادى يتكلم في بعض الكوفيين فلم يعرفه وكيع فبينما نحن اذ طلع أحمد بن حنبل فقالوا هذا هو فقال وكيع ها هنا يا أبا عبد الله فأفروا له فجعلوا يذكرون عن أبي عبد الله الذي ينكرون وجعل أبو عبد الله يحتج بالأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لو كيع هذا بحضرتك ترى ما يقول فقال رجل يقول قال رسول الله ايش اقول له ثم قال ليس القول الا كما قلت يا أبا عبد الله فقال

القوم لو كيع خدعك والله البغدادي .

هذا طرف من قوة حفظ هذا الإمام الجليل وهو في سن الشباب، وقد وثق الناس بعلمه وأجله علماء عصره ، فهو أتمودج رائع لشباب المسلمين فبمثله ليقدي الشباب ، وبسعيه ليهدي الطلاب .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .